عزيز المصرى يلتقى بجواسيس هتلر

****

انهما يظهران فى كل مكان , جيوبهما ممتلئة بالمال . ولا حد يحاسبهما على كيفية صرفه ! جاءا باموال مزيفة ولا قيمة لها , وضحكا على البنك الاهلى المصرى , فصرف لهما ما يقابلها من اموال حقيقة , وثمينة !

ولم تكن المخابرات البريطانية غافلة عما يفعله الجاسوسان الالمانيان , فاسلوب المخابرات البريطانية كان يعتمد دائما على تجنيد اكبر عدد ممكن من العاملين فى الملاهى , والمقاهى , وصالات اللهو , والكباريهات . والجاسوسان الالمانيان كانا من اشهر المترددين على الكباريهات وعلب الليل , فسقطا بسهولة فى شباك المخابرات البريطانية !

جاء دورى فى تادية احدى الفرق الحتمية . وهى فرقة تعليمم , لابد ان يؤديها ضابط الجيش , كشرط للترقى الى رتبة اعلى وقتها كنت اخدم فى الجراولة ، بالقرب من مرسى مطروح . وجاءت اشارة باستدعائى الى القاهرة لتأدية الفرقة الحتمية , وكان مكانها مدرسة المشاة .

وتركت الجراولة غير اسف عليها , وسعدت بعودتى الى القاهرة , ليس حبا فى الاقامة فيها , وانما لاعادة اتصالاتى بالضباط لاختار من بينهم من يشكل معى حركة حركة الضباط الاحرار . وكانت تلك الاتصالات قد انقطعت ، عندما نقلت ــ بامر من المخابرات العسكرية ــ للخدمة بعيدا عن المدن , واختاروا الجراولة فى قلب الصحراء النائيه ,

لا لشئ الا لقطع كل صلة لى بالضباط . بصفة عامة , وبعزيز المصرى , بصفة خاصة .

تركت الجراولة وعدت الى القاهرة , والتحقت بمدرسة المشاه . وفى هذه الاثناء كان عزيز المصرى قد قبض عليه , هو وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف , بعد فقترة من سقوط الطائرة التى حاولوا الهرب بها الى بيروت للاتصال هناك بالالمان ولم تتحمل صحة عزيز المصرى الاقامة فى السجن , فنقلوه الى مستشفى العسكرى , ووضعوه تحت الحراسة . ولم اعلم وسيلة للاتصال بعزيز المصرى . فقد كان والدى يعمل فى نفس المستشفى العسكرى . ولذلك تعودت ان اذهب الى تلك المستشفى تعودت ان اذهب الى ذلك المستشفى , لمقابلة والدى ثم اتسلل فى هدوء الى حيث يرقد عزيز المصرى , وامضى معه بعض الوقت , ثم نفترق على ان نلتقى بعد يوم او يومين .

وبسرعة اعدت اتصالاتى بالضباط , حثيقة ان عيون المخابرات العسكرية كانت تلاحقنى خاصة بعد ان فشلوا فى الايقاع بى واثبات علاقتى بحادث سقوط الطائرة , وفشل محاولة الهرب . ولكن المراقبة خفت الى حد ما بعد ان تم القبض على عزيز المصرى ، وانشغلت عيون المخابرات بقضايا اخرى جديدة .

كنت اذهب الى مدرسة المشاه فى الصباح ، ثم اتفرغ تماما ــ بعد الظهر ــ لاتصالاتى السرية مع الضباط .

فى هذه الايام جاءت وزارة ٤ فبراير الشهيرة .

وبعد فترة قليلة . اصدر رئيس تلك الوزارة ــ مصطفى النحاس باشا ــ امرا بالعفو عن عدد من المسجونين السياسيين . وشمل العفو

عزيز المصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبدالمنعم عبد الـــرؤوف . وصدر الامر باعادة حسين ، وعبد المنعم الى الخدمة , مرة اخـــرى ، فى الجيش . ولكنهما لم يخدما فى سلاح الطيران ، كسابق عهدهما قبل حادث محاولة الهرب ، وانما نقلا للخدمة فى المدفعية .

وبدأت اعاود عزيز المصرى فى منزله بعين شـــمس . وكنـــت اشعر بعيون المخابرات تتعقبنى . ولذلك كنت احاول دائمـــا الهـــروب منها . وخداعها فقد كنت اذهب اليه فى ساعة متأخرة من الليل . ولـــم اكن اتوجه الى منزل عزيز المصرى مباشرة . بل كنت الف ، وادور ، فى حى عين شمس ، حتى ادوخ من يراقبنـــى ويتعقـــب خطـــواتى . وعندما اتأكد من اننى نجحت فى الهروب من رجل المراقبـــة ، اتوجـــه الى بيت عزيز المصرى راسا . وكنت اعرف عن عزيز المصرى انه لا ينام مبكرا . وانه يحب السهر لساعة متأخرة من الليل . ولـــذلك كنـــت ازوره ــ عادة ــ قبيل ، او بعد منتصف الليل . ولم اكن ادخل داره من الباب . بمعنى اننى لم اكن ادق على باب البيت . وانما اتفقت معه على ان الف حول المنزل , حتى اصل الى قرب نافذة غرفة نومه . التى كنت اجدها مضيئه دائما . واحيانا كنت امسك بحجر صغير واقذفـــه ناحيـــة زجاج النافذة واحيانا اخرى كنت اقترب من النافذة . وادق على زجاجها برفق .

وعلى الفور كان عزيز المصرى يظهر امـــامى فـــى النافـــذة , ويعطينى اشارة الامان ، لاتوجه من فورى الى الباب الذى اجده مفتوحا ، وعزيز المصرى فى انتظارى .

وتعودت على الجلوس عند عزيز المصرى ساعات طويلة ، فى كل مرة ازوره فيها فى منزله بعين شمس .

كنت اجد سعادة ما بعدها سعادة فى الانصات الى ما يقوله لـــى عزيـــز المصرى من تجارب ، ومن دروس فى الحيـــاة والحـــرب ، والقتـــال ، والثورة وكيفية التخطيط من اجلها .

ومن عزيزالمصرى عرفت كيفية فشل محاولة الهرب التى قام بها . فقد عرفت منه ان الالمان ارسلوا بالفعل احدى طائراتهم التى وصلت الـــى جبل رزه فى اليوم والساعة المتفق عليهما من قبل . وقد توجه عزيـــز المصرى ومعه عبد المنعم عبد الـــرؤوف بالـــسيارة التـــى ســـبق ان اشتريتها لهما من وكالة البلح , ولكن السيارة تعطلت فى الطريق ، ولم يتمكنا من الوصول الى جبل رزه ــ فى طريق الفيوم ــ مما افشل خطة الهرب واضطرت الطائرة الالمانية الى الاقلاع بدون عزيـــز المـــصرى والعودة مرة اخرى الى بيروت !

وحدثنى عزيز المصرى عن المحاولة الثانية التى قاموا بها ، وفـــشلت هى الاخرى . وهى المحاولة التى سقطت فيها الطائرة التى كان يقودها حسين ذو الفقار صبرى ، وأدى هذا السقوط الى انكشاف امر المحاولة ، والقى القبض على عزيز المصرى، وحسين ذو الفقار , وعبد المنعم عبد الرؤوف .

وكنت افتح قلبى لعزيز المصرى واحدثه عن احوال البلد التى لا تسر احدا فالاوضاع تتدهور من سيئ الى اســـوأ . ورجـــال الـــسياسة يتخبطون ، ويتصارعون فيما بينهم ، من اجل مصالحهم الخاصة وليس ابدا من اجل بلادهم وشعبهم !

وجاءت الطامه الكبرى ، عندما فـــرض الانجليـــز جبـــروتهم ، وجاءوا بوزارة ٤ فبراير برئاسة مصطفى النحاس . وحدثت الاومة بين

الملك والوزارة . الملك لا يطيق الوزارة ، والوزارة تحاول ان تتحدى الملك . والشعب المسكين يقف يتفرج على هذا الصراع ، وهو يتحسر على حاله ، وعلى الهاوية التى تغيب فيها مصالحه واحلامه .

فى هذا الوقت كانت قوات المانية بقيادة روميل ، تتقدم وتحقق اعظم انتصارتها ضد قوات الحلفاء وتكتسحها معركة بعد اخرى . ففى قفزه واحدة اخترق روميل حدودنا عند ليبيا ، ووصل الى مرسى مطروح . واستطاع ان يمزق الجيش الثامن البريطانى شر ممزق . ومن مرسى مطروح توجه روميل على الفور الى العلمين .

واصبح الطريق الى الاسكندريه مفتوحا امام روميل ..!

ولكن روميل توقف عند العلمين ، ولم يتقدم . وكنا جميعا ننتظر ان يواصل روميل تقدمه وانتصاراته دون ان يعترضه عائق ، او مانع ! حتى مصطفى النحاس باشا ــ رئيس الوزراء ــ توقع وصول روميل الى الاسكندرية ، فاعطى اوامر الى محافظ الاسكندرية بتسليم المدينه للالمان فور وصول طلائعهم !

حتى القيادة البريطانيه ذاتها لم تفكر فى مقاومة الزحف الالمانى القادم فى الطريق . فقوات بريطانيا فى مصر كانت فى حالة يرثى لها . ولم يكن هناك اى امل فى وقف هذا الزحف ، لدرجة ان رياسة القوات البريطانية كانت تتوقع الهزيمة مقدما ، فامرت بحرق جميع الاوراق والمستندات ، حتى لا تقع فى ايدى الالمان فى حالة تقدمهم وانتصارهم .

ليس هذا فقط بل وسمعنا عن خطة انجليزيه لاغراق الدلتا . فى محاولة منهم لمنع الالمان من التقدم ، وعرقلة تحركهم ! وسمعنا عن اتفاق بين الانجليز والحكومة لاغراق الدلتا ، وان كانت الحكومة حاولت

ان تبرئ نفسها فيما بعد ، ونفت حدوث هــذا الاتفــاق مــع الانجليــز لاغراق البلاد !

يومها قلت لعزيز المصرى ان من المستحيل ان يحدث هذا كله ، ونقف لمجرد الفرجه عليه .

وسألنى عزيز المصرى :

وماذا تقترح ؟

فقلت له :

اولا : يجب ان نمنع هروب انجليزىواحد من القاهرة . ثانيــا : يجب ان نتصل برومیل ليعرف ان فى مصر حركة وطنية ، لا صلة لها بالملك ولا بالحكومة التى فرضها الانجليز فرضا . علينا ان نقنع روميل بان الحركة الوطنية تعمل من اجل مصر فقط . وهدفها الاوحد هو نيــل الاستقلال والحرية , وطرد المحتل .

واستمع عزيز المصرى الى كلامى ، ولم نستطع ان نجد وسيلة تحقق لنا الاتصال برومیل .

وشاءت الصدفه الغريبه ان يحضر زميل لى يخــدم فــى ســلاح الطيران ــ واسمه حسين عزت ــ ويقول لى :

ــ لى صديق اسمه عبد الغنى سعيد ــ الذى شغل منصب وكيــل وزارة الشئون فيما بعد ــ وله قريب متزوج من سيدة المانية يقيم معها فى شقة بحى الروضة . ومنذ ايام جاء ضابطان المانيان لزيارة قريبــة احدهما ــ السيدة الالمانيه المتزوجة من الرجل المصرى قريبــب عبــد الغنى سعيد ــ وعرفت انهما يعدان لوصول روميل وقواته الى القاهرة .

وسألت :

وكيف وصلا الى هنا ؟

واجاب حسين عزت :

ــ لقد ارسلهما روميل ، عندما كان فى ليبيا الــى مــصر عــن طريق الواحات الخارجة . وقد تنكر الضابطان الالمانيان فى زى وهيئة الضباط الانجليز ، ووصلا بالسيارة حتى اسيوط ، وهناك تركا الــسيارة واستقلا القطار بمنتهى البساطة فى طريقهما الى القاهرة . ولم يــشتبه فيهما احد سواء من المصريين او من الانجليز . المصريون تــصوروا انهما من الضباط البريطانيين ، والانجليز تعاملوا معهما كزملاء وابناء وطن واحد !

وعرفت من حسين عزت ان احد الضابطين اسمه ابلر. وكــان يقيم فى صغره فى مصر مع والدته الالمانية التى تزوجــت منمــصرى اسمه صالح جعفر ــ الله يرحمه ــ وكان مستشارا بالقضاء .

وكانت تلك السيدة قد انجبت هذا الغلام من رجل المانى اخر , ثم تركته وتزوجت من المستشار المصرى الذى وافق على ان تحضر معها ابنها ليقيم معهما فى القاهرة ويعامله كابنه تماما . وبالفعــل اعطــاه : اسم : حسين ابلر . وعندما انجب صالح جعفر من زوجتــه الالمانيــة غلاما اخر اسماه حسن . ولكن شتان ما بين حسن وحسين . فالاول ــ ابن صالح ــ كان دمث الاخلاق ، وحسن الطباع , وكريم الاخلاق . اما اخوه ــ من امه ــ حسين فقد كان فاسدا بكل ما فى هذه الكلمــة مــن معنى ! وقد حاول زوج والدته الكثير من آجل اصــلاحه ، وتقويمــه ، دون جدوى . فما كان من صالح جعفر الا ان طلب من زوجته ان تعيد ابنها الى المانيا مرة اخرى ليقيم هناك مع اسرتها ، خوفا علــى ابنــه حسن من تقليد مساوئ اخيه حسين !

وبالفعل عاد الشاب الالمانى الى المانيا ، وهناك التحق بالجيش ، كا مجند . وعندما عرفوا انه يجيد اللغة العربيـــة ، ويتحـــث باللهجـــة المصريه كاحد ابنائها تماما ، فكروا فى استغلاله كعميـــل للمخـــابرات الالمانية ، ويعمل لحسابها داخل مصر .

وهكذا عاد حسين ابلر الى القاهرة مرة اخرى . ولكنه جائها هذه المرة كضابط مخابرات المانى وليس كابن لسيدة المانية تزوجـــت مـــن مواطن مصرى !

ولم يستطع الجيش الالمانى ان يخلص حسين ابلر مـــن فـــساد اخلاقه ، وانحرافاته ، فعندما وصل الى القاهرة ، نسى المهمة الخطيرة التى يقوم بها ، وفكر اول ما فكر فى ملذاته ، وفى زيـــارة البـــارات ، والكباريهات ، وصالات اللهو ، التى تعود على ارتيادها قبل ان يطـــرده زوج والدته من مصر ، خوفا على ابنه منه .

وفى حين ان ابلر هذا كان يجيد اللغة العربية اجادة تامه ، فـــان زميله الاخر لم يكن يعرف حرفا واحدا من اية لغة اجنبيه اخرى غيـــر لغته الاصليه الالمانية .

وكان معهما كمية ضخمة من الجنيهات من الاسترلينية المزيفة ، والتى قامت المخابرات الالمانية بتزويرها وطبعها لهما فـــى اليونـــان ! وبمجرد وصولهما الى القاهرة ، ذهبا الى البنك الاهلى المصرى واعطيا له جنيهاتهما الاسترلينيه المزيفة ، واخذا مايقابلهـــا مـــن الجنيهـــات المصريه السليمة !

وكان ابلر يعرف السيدة الالمانية ــ فراو عامر ــ المتزوجه من مصرى . فذهب مع زميله ــ واسمه ساندى ــ لزيارة فراو عامر . ثم تركها وذهبا للبحث عن سكن لهما . وكان الضابط ساندى مسئولا عن

جهاز اللاسلكى الذى معهما . واراد ابلر ان يصرف زميله عن تأدية المهمة التى وصلا من اجلها ، فقام بتعطيل جهاز اللاسلكى ، حتى تنقطع صلتهما بالقيادة ، ولا يكلفا باى عمل ! فهدف ابلر الاول هو التسليه ، وتمضية الليل فى الصالات وبين الارتيستات ! وكان مكانهما المفضل هو ملهى الكيت كات .

وهناك التقى ابلر وزميله مع حكمت فهمى ، وكانت مطربه معروفه فى هذا الوقت . وتذكرت حكمت فهمى ابلر على الفور فقد كانت تعرفه قبل ان يطرده زوج والدته من مصر .

ووجد ابلر فى حكمت فهمى خير معين ، فهى التى بحثت لهما عن السكن الهادئ اختارت لهما عوامه ـ ذهبيه ـ راسيه امام مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية . وكتبت اسمها فى عقد تاجير العوامة . ودفعت ايجارها لصاحبها . ثم حاسبت الضابطين عليه بعد ذلك .

واطلق الضابطين العنان لاهوائهما ...

فهما يظهران فى كل مكان , وجيوبهما ممتلئه بالمال . ولا حد يحاسبهما عليه ، جاءا بأموالمزيفة ولا قيمة لها . وحصلا مقابلها على اموال حقيقية ، وثمينه . واخذا يصرفانها بلا حساب مما لفت اليهما الانظار هنا وهناك . فساعات النهار يقضيانها فى النزهة ، والتردد على المحلات العامة , والاندية وصالات الشأى ، مثل محل جروبى فى شارع سليمان باشا وفى المساء وحتى نهاية السهرة ينتقلان من صالة الى اخرى ، ومن كباره الى كباريه , وعندما يعلن اصحاب الملهى عن اضطرارهم لاغلاق الملهى ، عند الفجر ، كانا يصحبان معهما عددا من

الاصدقاء والصديقات لمواصلة السهرة الصاخبة فى العوامة النيليه التى لا ينقطع عنها الضجيج والصخب والضحكات لحظة واحدة !

ولم تكن عين المخابرات البريطانية غافلة عما يحدث ...!

فأسلوب المخابرات الانجليزية كان دائما تجنيد اكبر عدد ممكن من العاملين فى الملاهى ، والمقاهى ، والمطاعم ، والاندية ، للعمل لحسابها وتزويدها باكبر كمية ممكنة من المعلومات عن رواد تلك الاماكن من مصريين وغير مصريين . ومن المؤكد ان عملاء المخابرات البريطانية تنبهوا الى هذين الاجنبيين ، والى المال الكثير الذى يصرفانه بلا حساب .

المهم ان زميلى حسين عزت جاءنى ليخبرنى بوصول ابلر وزميله ساندى , وزيارتهما للسيدة الالمانية المتزوجة من الدكتور عامر , وكشف لى عن حقيقتهما ، وعن انهما يقومان بنشاط سرى فى مصر ، لحساب روميل !

وقلت لحسين عزت :

عظيم اريد ان التقى بهما على الفور !

وبالفعل ذهب حسين عزت ، ثم عاد ومعه ابلر وساندى ، وعرضت عليهما ان نذهب جميعا لمقابلة عزيز المصرى . فهو يمثل الشخصية الكبيرة للحركة الوطنية المصرية التى كنا نقوم بها .

ووافقا ...

وذهبنا جميعا لمقابلة عزيز المصرى واستمع اليهما ، ثم وافق على الاتصال بالالمان عن طريقهما ، ونظر ناحيتى وقال :

ــ شوف طلباتهم يا انور ، واتفق معهم على كل شئ واخبرنى بالتطورات اولا بأول .

وتركنا بيت عزيز المصرى ، وعدنا الى منازلنا بعد ان اتفقت على ان ازورهما فى العوامة التى يقيمان فيها , وفى اليوم التالى ، وكان يوم جمعة .

وفى صباح اليوم التالى توجهت الى مكان العوامة . وبمجرد اقترابى منها , لاحظت الخطأ الشنيع الذى وقعا فيه ، فقد شاهدت ايريالين بدلا من اريال واحد فوق العوامة . فى هذه الاييام كانت اجهزة الراديو تحتاج الى ايريال يرتفع فةق سطح المنازل ، وكان المفروض ان اجد ايريال واحدا فقط فوق العوامة , ولكن المفاجاة المذهلة اننى وجدت ايريالين اثنين ، وهذا يعنى وجود جهاز لاسلكى سرى داخل العوامة ، بالاضافة الى جهاز الراديو العادى !

لحظتها تاكدت من ان المخابرات البريطانية على علم بوجود هذين الجاسوسين ، وهو ما تبينته بالفعل فيما بعد !

ودخلت الى العوامة ، فوجدت انهما فى فراشهما ، وقد ارتفع شخيرهما ! فقد سهر الجاسوسان الخطيران حتى الفجر فى ملهى الكيت كات ، وعادا منذ وقت قليل يجران ارجلهما من فرط التعب ، والسهر والسكر !

وقفت انظر اليهما واسال نفسى :

هل يصدق احد ان تبلغ السذاجة بهما الى هذه الدرجة ؟!